

الفتيات — وجعلها مؤثرة في سلوك المشاهد، فهي إنه نقل هذه العلاقة إلى مستوى حلم اليقظة، فأصبح كل شيء ممكناً.

من هنا، نستطيع القول، إن الفرق بين الفنان، وبين الممارس لأحلام اليقظة، إن الفنان يعمق الوعي من خلال إزالته لأوهام المتلقي — وحلم اليقظة من ضمن هذه الأوهام —، في حين أن الحالم يهدف إلى إلغاء الوعي، وإقامة عالم يفقد المنطق والإنسجام. أعتقد أننا حين نطرح السؤال التالي، فإننا نتساءل عن الحدود الفاصلة بين الفن، وحلم اليقظة:

ما هو الجانب الموضوعي في شخصية وليد مسعود، الذي يجعله يتحول إلى الهم الوحيد، والقضية الأساسية، لكل شخصية عراقية يلتقي بها؟ أية حاجة موضوعية يرضيها وليد مسعود عند العراقيين حتى يصبح مركز حياتهم؟.

تقول لنا الرواية إن وليد مسعود كان سبباً في ثراء العديد من الأشخاص. ولكننا، من بين الشخصيات التي تقدمها الرواية، لانجد شخصاً قدّم له وليد خدمة، عدا عامر عبد الحميد. فقد سهّل له وليد الإتصال ببعض شيوخ الخليج، فتعاقد معهم لإقامة بعض المقاولات. وهي خدمة لا تكفي لأن تجعل عامر يحب وليد أكثر من اخوته وأهله. فهي خدمة ضئيلة الشأن، لا تدخل ضمن الخدمات، التي لاغنى عنها.

أما الآخرون، فلا نرى أن وليد قد قدّم لهم خدمة من أي نوع. إن الرواية لا تعطينا سوى إجابات مبهمة عن طاقة وليد الجنسية الهائلة، وحديثه الخلاب، الذي لا يزيد عن ترديد بعض الآراء السطحية في الفن، أو الفلسفة الإجتماعية.

إننا مهما حاولنا، فلن نجد إجابة منطقية ومقنعة على سؤالنا.

أما بالنسبة للفحولة الجنسية، فيصعب علينا أن نتصور مجتمعاً مغلقاً كالمجتمع العراقي، تعاني المرأة فيه القمع، فتقتل إذا نهض شك بأن لها علاقة برجل، يحني رأسه لفحل يقتحمه إقتحاماً. وإذا نال مثل هذا الوافد إعجاب النساء، فما بال الرجال؟ هل ينحنون لمن يستولي على نسائهم، ويركعون أمامه؟.

إن غياب المعطيات التي تجعل وليد لاغنى عنه، بالنسبة لكل عراقي وعراقية، يجعلنا في مواجهة سببية، لا علاقة لها بالفن.

إن حلم اليقظة هو، فقط، القادر على إقامة علاقات بين السبب والنتيجة، من هذا النوع.

وهذا يبرر لنا القول، إن رواية (البحث عن وليد مسعود) هي حلم يقظة، وليست فناً.

دلالات ايديولوجية

بين محمود أبو وافية ووليد مسعود: قبل أن تغلق السلطات المصرية مجلة «الطليعة»